أثر النزعة التاريخية في فكر الجابري:
قضية أمية النبي صلى الله عليه وسلم أنموذجا

الباحث محمد الزعيم
أستاذ مادة اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي،
طالب باحث في سلك الدكتوراه شعبة اللغة العربية وآدابها
(مختبر الدراسات الأدبية واللسانية والديداكتيكية)
جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال
المغرب

تقديم:

لقد كان فهمُ القرآن الكريم وإدراكُ معانيه منذ ابتداء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم غايةَ الغايات، والشغل الشاغل للمسلمين. وقد سارت كل التفاسير المعتبرة بعد النبي صلى الله عليه وسلم على منهج صارم في الفهم، لم تصرح به صراحة، لكنه يظهر لكل من يتتبع تلك التفاسير بالتَّحري والتقصي والتدقيق، فقد اعتمدت كلها علوم اللغة مدخلا مهما للفهم، ولم تقطع مع مداخلَ أخرى بإمكانها أن تنير جوانب المعنى في لحظات قصور مداخل اللغة وآلياتها؛ بعبارة أخرى كان تساند العلوم اللغوية مع بعضها، ومع العناصر السياقية الخارجية هو **المنهج** المتبع في فهم القرآن الكريم وتفسيره، والحامي له من التفسيرات المغرضة التي تحاول إخضاعه لتوجهاتها العقدية والمذهبية والإيديولوجية.

وقد ظهرت في العقود الأخيرة مناهج حداثية تحاول فهم القرآن الكريم بطرق منقولة بعيدة عن المنهج التكاملي المأصول، وبدأت في إعمال أدوات الحداثة وآلياتها في النصوص الشرعية موجَّهة بقواعد حداثية كثيرة أهمها قاعدة نسبية المعنى وتاريخيته وتعدده، ونفي العلاقة بين الدال والمدلول، والنظر إلى التراث باعتباره حقيقة تاريخية وليست دينية، بعبارة أخرى أصبح المعنى من المنظور الحداثي مجرد وجهة نظر.

ويعد الدكتور محمد عابد الجابري من أبرز المفكرين الذين حاولوا إعمال أدوات الحداثة وآلياتها في التعامل مع الخطاب الشرعي، وقد أثار في كتابه (مدخل إلى القرآن الكريم) قضايا كثيرة منها قضية نفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم. وسنسعى في هذا البحث إلى معالجة هذه القضية من خلال إشكال مهم هو: أكان النبي صلى الله عليه وسلم أميا أم كان غير أمي؟ وهذا الإشكال تتفرع عنه أسئلة فرعية هي:

- ما الخلفية النظرية التي استند إليها الجابري في التعامل مع قضية أمية النبي صلى الله عليه وسلم؟
- كيف بنى موقفه من هذه القضية؟

لمناقشة إشكالية هذا البحث وما يتفرع عنها من أسئلة سننجز بحثنا وفق الخطة الآتية:

- المحور الأول: منهج الجابري في الفهم.
- المحور الثاني: توجيه النزعة التاريخية لفهم الجابري لقضية أمية النبي صلى الله عليه وسلم
- خاتمة ضَمَّنَّاها نتائج البحث وخلاصاته.

وبخصوص المنهج الذي استخدمناه في هذا البحث فقد كان منهجا تكامليا جمعنا فيه بين عدد من المناهج، كالمنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي وهي المناهج التي سنُعملها في بيان منهج الجابري في الفهم ووصفه وتحليله ومناقشته، كما أننا – وبلا شك– سنُعمل أدوات التحليل السياقي المعتمد على علوم اللغة، وعلى عناصر السياق الخارجي، فيكون المنهج من هذه الزاوية منهجا تحليليا سياقيا داخليا/لغويا، وخارجيا/مقاميا.

✓ المحور الأول: منهج الجابري في الفهم:

عالج الجابري قضية أمية النبي صلى الله عليه وسلم بالاعتماد على آليتين هما: التاريخية، وتفسير القرآن بالقرآن. وسنبين فيما يأتي المقصود بكل منهما:

أ. التاريخية:

سعى الجابري في مشروعه الفكري إلى إحداث قطيعة إبستيمولوجية مع التراث العربي الإسلامي، وهذه القطيعة لن تتحقق حسب وجهة نظره إلا بتبني الأطروحة الحداثية التي يرى أنها ثورة عالمية لا وطن لها ولا أرض، ولا مفر للعرب من الانخراط فيها، طوعا أو كرها، وإلا ألقت بهم خارج الحضارة والتاريخ، فالحداثة "في جوهرها ثورة على التراث القديم، تراث الماضي والحاضر، من أجل خلق تراث جديد، والحداثة اليوم، في العلم كما في الأدب والفلسفة والمناهج والاجتماع والاقتصاد إلخ، لا وطن لها، أو على الأقل لم تَعُد محصورة ولا قابلة للحصر في رُقعة من الأرض دون أخرى. الحداثة اليوم حداثة غازية كاسحة،

إن لم تأخذ بها أخذتك، وإن لم تعمل جاهدا من أجل المساهمة في صنعها، أو على الأقل من أجل تَبْيِئَتِهَا في واقعك وخصوصيتك، جَرَفَتْك واقتلعتك من جذورك، أو همَّشتك وألقت بك جانبا، خارج الحاضر والمستقبل.. تَخَتَّر الماضي، بل يجتر الماضي نفسه فيك"[1].

إن الانخراط في تيار الحداثة يعني بالضرورة نقل مناهجها وآلياتها، وتطبيقها على التراث العربي الإسلامي "وذلك بهدف تحريك التغيير فيها من الداخل. لذلك كانت الحداثة بهذا الاعتبار تعني أولا وقبل كل شيء حداثة المنهج وحداثة الرؤية، والهدف تحرير تصورنا للتراث من البطانة الإيديولوجية والوجدانية التي تضفي عليه، داخل وعينا، طابع العام والمطلق وتنزع عنه طابع النسبية والتاريخية"[2]. لكن أية مناهج حداثية يقصد الجابري؟

إن الجابري حسب النص السابق يرى أن العقل العربي يعتبر التراث العربي الإسلامي مُطْلَقا وثابتا وغير قابل للتغيير والتبديل، ودور الحداثة هو نزع طابع الإطلاق عنه وجعله نسبيا وتاريخيا. فمن أين جاء هذا المصطلح وما معناه؟

ظهرت لفظة (التاريخية) "للمرة الأولى...في مجلة نقد (**Critique**)، وذلك في نيسان1872م"[3]. وهي ترى أن معاني النصوص معانٍ تاريخية مرتبطة بالسياق التاريخي الذي ظهرت فيه، ولا تصلح إلا للعصر الذي ظهرت فيه، ولا يوجد معنى يستطيع أن يعيش في عصره وفي العصور التي بعده، فالمعاني غير مستقرة ولا ثابتة، إنها مثل الزمن الذي تقع فيه والذي يجري بلا توقف.

إن لكل نص حسب المنظور التاريخي شروطا وظروفا خاصة، تختلف من زمان إلى آخر، ومحاولة استنساخ المعاني القديمة التي ظهرت في عصور معينة، ونقلها إلى عصرنا الحديث هو بُعد عن الفهم، لأن بيننا وبين تلك المعاني مسافات زمنية كبيرة وهذا "البُعد (المسافة) الزماني والمكاني اللذان يفصلان بين النص والقارئ قد أصبحا عائقا أمام فهم النص.. وبدأت تتسلل إلى دراسة النصوص مفاهيم النسبية التي مؤداها أن كل منتج ثقافي مشروط بظروف إنتاجه التي تختلف من عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان، ومن لغة إلى لغة، ومن ثقافة إلى ثقافة...إلخ"[4].

إن الحديث عن ارتباط النص بعصره فقط دون بقية العصور، يدفعنا إلى الحديث عن مفهوم آخر مرتبط بالتاريخية هو مفهوم النسبية*، فلا شيء ثابت، ولا مجال للحديث عن الحقيقة المطلقة، والوحدة والثبات، والمرجع الواحد المستقر، "فالحقيقة المطلقة في هذا المجال (العلمي) كما في المجالات الأخرى، ليست معطى جاهزا، بل هي المعطى الذي يبتعد عنا كلما اقتربنا منه"[5]. إنها غاية لا تدرك، بل إنها أشبه ما تكون بالوهم والسراب.

إن التاريخية تقول بنسبية المعاني وتغيرها من زمان إلى زمان، وهذا يجعلنا نستحضر مفهوما آخر مرتبط بالتاريخية ارتباطا كبيرا هو مفهوم: القطيعة الإبستيمولوجية، فالتغير والنسبية يعنيان بالضرورة إحداث القطائع مع الماضي ومع كل أنواع الفهم التي تحققت فيه، إنها سلسلة متواصلة من القطائع التي لا تنتهي، وقد عرفها الجابري بقوله: "التخلي عن الفهم التراثي للتراث... أي التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهمنا للتراث،.. القطيعة التي ندعو إليها ليست القطيعة مع التراث، بل القطيعة كنوع العلاقة مع التراث، القطيعة التي تحولنا من كائنات تراثية إلى كائنات لها تراث"[6].

إننا أمام ثلاثة مفاهيم مترابطة هي: التاريخية، النسبية، القطيعة الإبستيمولوجية، لكن في النهاية يمكن القول إن المفهوم الأصلي فيها هو التاريخية أما مفهوما النسبية والقطيعة الإبستيمولوجية فهما في الحقيقة مفهومان متفرعان عن التاريخية.

وقد اتُّخِذت التاريخية وسيلة "من قبَل المدرسة الحداثية للتخلص من مدلولات النصوص الشرعية والأحكام التكليفية التي دلت عليها بذريعة أن لكل زمان طرائق للفهم تتطور بتطور الزمان وتبدل الأحوال، وما فهمه سلفنا الصالح هو فهم صحيح لكن هذا الفهم يناسب عصرهم فقط وإمكانياتهم، بيدَ أنه لا يصح بقاء هذا الفهم واستمراره للعصور التالية، فلكل عصر فهمه وآلياته وحاجاته ومسلَّماته، ولكل لفظ مدلولاته المتغيرة والمتطورة من زمن لآخر"[7].

ب. تفسير القرآن بالقرآن:

يعتقد الدكتور محمد عابد الجابري أن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كان لا يقرأ ولا يكتب أمر يُجانب الصواب، ويرى أن الحقيقة عكس ذلك تماما؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب خلافا لما رسخ في أذهان المسلمين، وقد عبر الجابري عن موقفه هذا صراحة حين قال: "ليس من شرط النبي أن لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولا يليق بنا أن نتصور أن من كمالات الإنسان الذي يختاره الله للنبوة أن يكون لا يعرف القراءة والكتابة"[8].

هذه هي أطروحته التي خَصَّص الفصل الثالث من كتابه (مدخل إلى القرآن الكريم) ليُثبتها، واعتمد في ذلك أساليب شتى سنُجَلِّيها في هذا المقال بإذن المولى عز وجل، مبينين زيفها وبطلانها.

قبل أن نشرع في مُناقشة هذه الفكرة، نودُّ أن نؤكد على أن أُمِّيَّة النبي صلى الله عليه وسلم ليست شرطا في نُبُوته عليه السلام، وهذا أمر نتَّفق فيه مع الجابري تماما، ولكنَّا ندافع عنها من حيثُ كونُها حقيقة تثبتها أدلة نصية ووقائع تاريخية كثيرة، وعندما يوجد نص قرآني أو نصوص دَلَّت على معان اتفق علماء الأمة عليها، تكون محاولة تفجير تلك المعاني وتقديم معان أخرى تَهدمها ـ بلا مُستند علمي ـ ضربا من العبث، وضربا من محاولة تشكيك الناس

في مُسَلمات دينهم، وفتحًا لنصوص القرآن على التأويل دون ضابط، وتمهيدا لتحطيم مسلَّمات أخرى أكبر وأخطر، وهكذا في سلسلة مدروسة ومتواصلة يراد لها أن تصل إلى رأس العقائد.

في بداية الكتاب طرح محمد عابد الجابري تصورا مفاده أن القرآن يُفسِّر بعضُه بعضًا، وذكر أن هذا المنهج ـ تفسير القرآن بالقرآن ـ سيكون سلاحَه القويَّ ضد الروايات الموضوعة، وضد الإسرائيليات، وضد أنواع الموروث القديم السابق على الإسلام، دون أن يعني ذلك إقصاء الروايات التي تعتمد التفسير بالمأثور إقصاءً كليا، بل ذكر أنه سيتعامل بشكل إيجابي مع كل رواية أو اجتهاد يجد سَنَدا له في القرآن الكريم[9].

إذن من الواضح أن مُنطلق محمد عابد الجابري في الفهم هو القرآن بالدرجة الأولى، ثم بعد ذلك قد يتعامل مع العناصر الخارجية (الروايات التي تعتمد التفسير بالمأثور) في حالة الضرورة. هذه قاعدة ثبَّتها في بداية كتابه، وألزَم نفسَه بها، لكنَّا وجدناه – وتحديدا في الفصل الثالث – يخرقها ويتجاوزها بشكل واضح.

إن أولَ ما بدأ به ـ في أثناء محاولة إثبات معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة ـ رواية قال إنه جاء بها من سيرة ابن اسحاق، والحق أنها من تاريخ الطبري تتحدث عن أول اتصال لجبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهي رواية طويلة سنقتصر منها على ما يَهم: "...قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني جبريلُ وأنا نائم، بِنَمطٍ[10] من دِيباج[11]، فيه كتاب، فقال: اقرأ؛ قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: فَغَتَّنِي به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ؛ قال: قلت: **ما أقرأ؟** قال: فَغَتَّنِي به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ؛ فقلت: **ماذا أقرأ؟** ما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي؛ فقال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ–1– خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ–2– اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ–3– الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ–4– عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ –5–**﴾[12].

إن المعنى الظاهري للصيغتين: (ما أقرأ؟) و (ماذا أقرأ؟) هو الاستفهام، لذلك يرى الجابري فيهما دليلا على عدم أمية النبي صلى الله عليه وسلم.

بعد هذه الرواية أورد الجابري روايةً ثانية جاءت في صحيح البخاري[13]؛ وهي الرواية المشهورة عن بَدْء الوحي، اقتطفنا موضع الشاهد منها وهو: "..فجاءه المَلَك فقال: اِقرأ. قال: **ما أنا بِقارئ!** قال: فأخذني فَغَطَّني حتى بَلَغ مني الجَهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: **ما أنا بقارئ!** فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: **ما أنا بقارئ!** فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ–1– خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ–2– اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ–3– الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ–4– عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ –5–** ﴾[14].

في هذه الرواية تنفي صيغة (ما أنا بقارئ) نفيا صريحا لإمكانية حصول فعل القراءة من النبي صلى الله عليه وسلم، وهي بذلك دليل صريح على أميته عليه الصلاة والسلام.

إن أول ملاحظة يمكن أن نبدأ بها تحليل نصوص الجابري هي أن الرواية التي نسبها لابن إسحاق (ت 151هـ) ليست له، وإنما هي رواية ذكرها الطبري (310هـ) في تاريخه، ولعل الذي دفع الجابري إلى نسبة هذه الرواية لابن إسحاق ما يلي:

- تَقَدُّم ابن إسحاق الزمني (ت151هـ) على البخاري (ت256) ومن ثمة وجب – حسب هذا الاعتبار الزمني– تقديمها على رواية البخاري.
- رواية الطبري تتضمن صيغتان لغويتان تخدمان المعنى الذي يدافع عنه الجابري، وهما: ما أقرأ؟، ماذا أقرأ؟[15]
- رواية ابن إسحاق الحقيقية لا تخدم المعنى الذي يدافع عنه الجابري، إذ تتضمن صيغة: وما أقرأ؟ وهي صيغة استفهامية يمكن أن تدل على معنى التعجب[16].

إذن لقد استعار الجابري من ابن إسحاق اسمه لتقدمه الزمني على البخاري، واستعار من الطبري روايته لاشتمالها على صيغتين تخدمان المعنى الذي يرمي إليه.

ويمكن أيضا أن نسجل ملاحظة ثانية في أثناء النظر في نصوص الجابري، وهي توظيفه عناصر من خارج النص القرآني، دون أن يرجع إلى نصوص كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن أُمِّيَّة النبي صلى الله عليه وسلم فكان الأولى ـ احتراما لمنهج القرآن يفسر بعضه بعضا ـ أن يأتي بتلك النصوص، ويحاول تبيان وجه دلالتها على أطروحته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجده يُقدِّم رواية تاريخية مذكورة في كتاب من كتب التاريخ لكونها تدعم قضية نفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم، لاشتمالها على صيغتي الاستفهام: **(ما أقرأ؟)** و **(ماذا أقرأ؟)** على رواية في صحيح البخاري. بذريعة التقدم الزمني لتلك الرواية على رواية البخاري، وحتى هذا التقدم بينا ما فعله الجابري ليصل إليه. بهذه الطريقة يكون محمد عابد الجابري قد وقع في ثلاثة مزالق منهجية هي؛

- **الأول**: عندما احتج على أطروحته بأدلة من خارج النص القرآني – خلافا لما زعم في بداية كتابه–

- **والثاني:** عندما قدَّم رواية تاريخية على رواية في صحيح البخاري، وهو ما يعني الإقرار ضمنيا بأن الروايات التاريخية بالرغم مما قد يعتريها من ضعف أقوى حُجِّيَّةً من النصوص الواردة في البخاري الذي عرف بمنهجه الصارم في تتبع الأحاديث ونقلها ونقدها متنا وسندا والدالة دلالة قطعية على أمية النبي صلى الله عليه وسلم **(ما أنا بقارئ)**،
- **الثالث:** التلاعب بالروايات ونسبتها إلى غير قائليها (نسبة رواية الطبري إلى ابن إسحاق)

ومن الممكن أن نتساءل أيضا: أليس يمكن أن تكون الرواية التي اعتمدها الجابري وجعلها مُستندا مُهما في نظريته، مكذوبة من أساسها، فتسقط أطروحته نتيجة لذلك؟ وكيف يترك رواية صحيحة نُقلت بطريق معلوم، دالةً دلالةً صريحة على أمية النبي صلى الله عليه وسلم، ومنسجمة مع نصوص القرآن الكريم انسجاما لا يتطرق إليه الشك، ويتعلق برواية تاريخية مشكوك فيها؟ هكذا يمكن رَسْمُ سُلمِ الفهم عند الجابري حسب ما سبق بالترتيب الآتي:

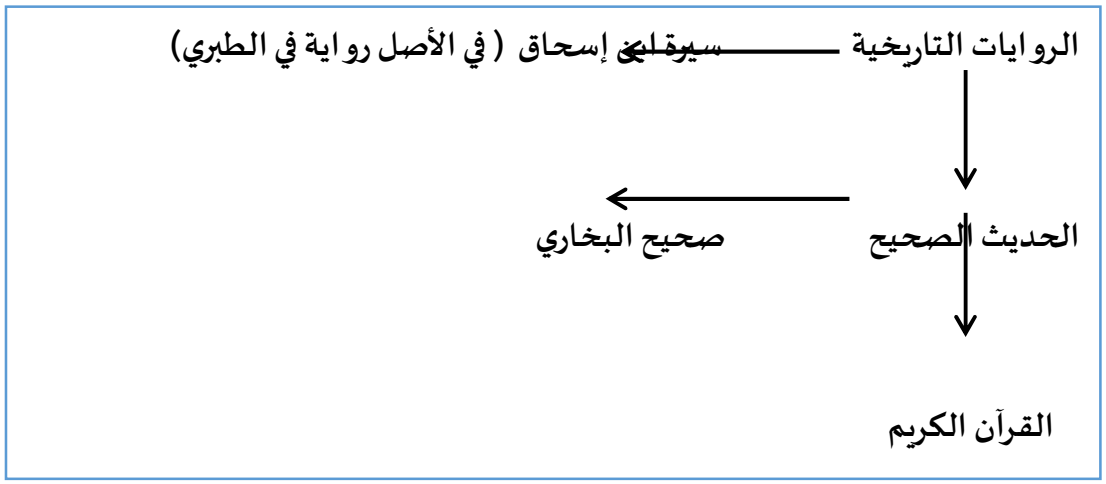

ولعل الآيات التي قد تُثير النقاش حول أُمِّيَّةِ النبي صلى الله عليه وسلم من عدمِها هي الآيات الخمسة الأولى من سورة العلق، قال تعالى:﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ–1– خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ–2– اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ–3– الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ–4– عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ –5–**﴾[17]، من الواضح أن التسرع في حَمْلَ هذه الآيات على ظاهرها، هو ما أوحى للجابري بفكرة عدم أمية النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لا يُعقل أن يَتوجَّه مَلَك الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بأمر القراءة إلا إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فعلا. بعبارة أخرى هذه الآيات أيقظت السؤال، وأثارت الشبهة، والرواية المذكورة عند ابن إسحاق تخدم تلك الشبهة، لذلك قدَّمها الجابري على الرواية المذكورة في البخاري، لكنَّا سنبين أن رواية البخاري تدل دلالة واضحة على أُمية النبي صلى الله عليه وسلم، بل أكثر من ذلك سنبين أيضا أن رواية ابن إسحاق التي استدل بها الجابري تدل بدورها على الأمية وليس العكس.

إن الجواب الفصل عن هذا الإشكال (إشكال أمية النبي من عدمها) غير موجود في سورة العلق، ولكنه موجود في آيات أخرى من القرآن الكريم وَصَفَتِ النبي صلى الله عليه وسلم صراحة بالأمي، منها قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[18]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾[19]. إن هذه العودة للآيات المتقاطعة دلاليا مع الآيات الخمس السابقة ـ والتي لم تقدم الإجابة الشافية بقدر ما أيقظت السؤال ـ هي المنهج الأسلم في عملية الفهم، أما إذا تعذر العثور على مثل تلك الآيات الداعمة في رحلة البحث، حينها يتعين على المفسر أو الدارس البحث عن عناصر أخرى من خارج النص تساعده في عملية الفهم، منها الحديث الشريف وأقوال الصحابة وأشعار العرب، وأقوالهم وخطبهم وغير ذلك من الموازيات الخارجية المساندة. لكن يبدو أن الآيات المساندة أعلاه لم تقنع الجابري بل أيقظت لديه سؤالا آخر: ما معنى الأُمِّي؟

وهذا السؤال سنجيب عنه في المحور الثاني، وتحديدا حين مناقشة التحليل المعجمي.

- ✓ **المحور الثاني: توجيه النزعة التاريخية لفهم الجابري لقضية أمية النبي صلى الله عليه وسلم**

1. **النزعة التاريخية وأثرها على مستويات التحليل اللغوي:**

سنبين في هذه المرحلة من البحث أثر النزعة التاريخية على التحليل اللغوي الذي استند إليه الجابري في نفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم، وسنركز على مستويين لغويين هما: التحليل البلاغي، والتحليل المعجمي.

أ. **التحليل البلاغي والنحوي:**

من منظور لغوي يتساءل الجابري عن معنى العبارات الآتية: **(ما أقرأ)**، و **(ماذا أقرأ)**، وهما الصيغتان اللتان وردتا عند ابن إسحاق والطبري، وعبارة **(ما أنا بقارئ)** التي جاءت في صحيح البخاري، وهما الروايتان اللتان ذكرناهما في بداية هذا البحث، يتساءل الجابري: هل هذه العبارات تفيد الاستفهام أم تفيد النفي؟[20]

من المؤكَّد أن الأمر مختلف كليةً بين معنى هذه العبارات في حالة الاستفهام، ومعناها في حالة النفي، فلو حُمِلت على الاستفهام فإن هذا سيعني أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام أن يُعَيِّنَ له ما يقرأ، وهذا يعني ضمنيا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة، وبالتالي تنتفي عنه صفة الأمية، أما لو حُملت على النفي فهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم ينفي معرفته بالقراءة، ومن ثَمَّ تَثبُت في حقه صفة الأمية.

ذكر الجابري أن الصيغتين الأُوليين تفيدان الاستفهام، لكنَّا نتساءل: ألا يُحْتَمل أن تدلَّا على النفي[21] مثلما دلت عليه صيغة **(ما أنا بقارئ)** الواردة عند البخاري فتتطابق الصيغ الثلاث في الدلالة على النفي فيُحسَم النقاش من أساسه؟ بعبارة أخرى ألا يمكن أن يكون الاستفهام في الصيغتين الأوليين استنكاريا أو تعجبيا؟ يردُّ الجابري بأن صيغة **(ما أنا بقارئ)** الواردة في البخاري ـ التي تفيد النفي صراحة ـ هي بدورها يمكن أن تحتمل الاستفهام، مستندا في ذلك إلى كون الباء في هذه العبارة هي باء زائدة، ومن ثم فهي بلا معنى[22]، وهذا غير وارد على الإطلاق – فيما نظن– لأن اللغة لا تحتمله ولأن السياق يردُّه.

إن اعتبار الباء في هذه الصيغة زائدة سيجعلنا نحصل على الصيغة الآتية: **ما أنا قارئ**. وهي صيغة لها وجهان إعرابيان: الأول منهما تأتي فيه (ما) نافية لا محل لها، والضمير المنفصل بعدها في محل رفع مبتدأ، وقارئ خبر. أما الثاني فتعمل فيه (ما) عمل ليس، والضمير المنفصل بعدها في محل رفع اسمها، وقارئ خبرها. والخلاصة أن الصيغة التي يتمسك بها الجابري حتى مع اعتبار الباء زائدة تدل في جميع أحوالها الإعرابية على النفي دون غيره.

وحتى مع التسليم بكون هذه الباء زائدة على المستوى النحوي، إلا أن ذلك لا يعني خلوها من المعنى، إذ تقدم من الناحية البلاغية دلالة مهمة، وتؤدي وظيفة دلالية قوية، لأنها استعملت للتأكيد، وورود الضمير المنفصل الدال على المفرد **(أنا)** العائد على النبي صلى الله عليه وسلم والمنفي بالأداة **(ما)**، فيه أيضا مَزيدُ تأكيد على أن النبي صلى الله عليه وسلم ينفي معرفته بالقراءة نفيا قاطعا.

ثمة مسألة أخرى ينبغي التنبيه إليها وهي أن رواية ابن إسحاق ذكرت أن جبريل عليه السلام جاء بكتاب موضوع في وعاء به ثوب من ديباج (حرير)، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ منه، ولعل هذا هو سبب تَعَلُّقِ الجابري بهذه الرواية وتقديمها على رواية البخاري، لأنها تتضمن الأمر بالقراءة، وتتضمن الكتاب الذي سيقرأ منه، ومن ثمة ستخدم فكرة عدم أمية النبي صلى الله عليه وسلم، أما رواية البخاري فلم تَرِدْ فيها أيَّةُ إشارة إلى وجود كتاب أتى به جبريل إلى النبي وأمره بالقراءة منه، ومن أجل ذلك أخَّرها.

الراجح إذن ـ إذا أخذنا برواية البخاري ـ أن القراءة التي طُلبت من النبي صلى الله عليه وسلم هي قراءة استظهار واسترجاع لمحفوظ وليست قراءة من كتاب، أما إذا أخذنا برواية ابن إسحاق فإننا سنجد أنفسنا في مواجهة الأسئلة الآتية:

- ما طبيعة الكتاب الذي جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟
- ولِمَ لَمْ تَذكر كتب التاريخ والسيرة والحديث أي شيء عن ذلك الكتاب؟
- ولِمَ لَمْ يذكره النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على الإطلاق؟

من خلال هذا التحليل البلاغي والنحوي للروايتين اللتين قدمهما الجابري نسجل النتائج الآتية:

- صيغة (ما أنا بقارئ) تفيد النفي فقط، ولا تحتمل الاستفهام.
- صيغتا (ما أقرأ) و (ماذا أقرأ) الاستفهاميتان، يمكن أن تحتملا النفي أيضا، ومن ثَم تتطابق كل الصيغ في الدلالة على النفي، فيحسم الخلاف من أساسه.
- رواية ابن إسحاق ضعيفة بالقياس إلى رواية البخاري، بدليل إشارتها إلى وجود كتاب طلب جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ فيه، في حين لم تذكر كتب التاريخ أو الحديث شيئا عن هذا الكتاب.
- تقديم الجابري لرواية تاريخية يشوبها الضعف على رواية أقوى منها في سلم الحجية غير مقبول من حيث الاستدلال وشروط البحث العلمي.

ب. التحليل المعجمي:

هاهنا سنبين كيف تعامل الجابري مع السؤال الذي طرح في نهاية المحور الأول من هذا البحث: ما معنى الأُمّي؟

من زاوية لغوية أيضا، وهذه المرة من وجهة نظر معجمية، خاض الجابري غمار البحث في الدلالة المعجمية للفظ (الأُمي) و (الأُميين)، لأن عملية الفهم لا تستقيم إن لم يتم التعامل مع الألفاظ المشكِلة بآلة المعجم؛ أي البحث عن معاني اللفظ في معاجم اللغة العربية، وهنا قدم لنا التعريفات الآتية:

"الأُمّيُّ الذي على خِلقَة الأُمَّة لم يتعلم الكتاب فهو على جِبِلَّةِ أُمِّه، أي لا يَكْتُب، فكأنه نُسب إلى ما يُولَد عليه، أي على ما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ عليه". وبهذا الاعتبار: "قِيل للعرب: (الأُمّيُّون)؛ لأن الكتابة كانت فيهم عَزيزة أو عديمة" وقيل أيضا: "الأُمي العَيِيُّ الجِلف الجَافي القليل الكلام؛ قيل له أُمّيٌّ لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وعُجمة اللسان"[23].

يمكن أن نستخرج من النص أعلاه ثلاثة معان للفظ (الأُمّيّ)، وهي:

- المعنى الأول: الأميُّ هو الذي على خِلقة أُمه لم يتعلم الكتابة، فهو على جِبِلَةِ أمه، فكأنه بقي على الحال الذي ولدته أُمُّهُ عليه.
- المعنى الثاني: الأُمّيون هم العرب؛ لأن الكتابة كانت فيهم نادرة أو معدومة.
- المعنى الثالث: الأُمّيُّ؛ العَيِيُّ الجِلْفُ الجَافِي القليلُ الكلام؛ لأنه على ما ولدته أُمُّه عليه من قلة الكلام وعُجمة اللسان.

سَنناقش الآن ما سبق، ولِنَعُد إلى التعريفين الأول والثاني للفظ (الأُمّي)؛ من الواضح أن التعريفين متناسبان بشكل كبير، ويُؤديان ـ تقريبا ـ المعنى نفسه، فـ (الأمي) هو الذي لم يتعلم الكتابة، و (الأميين) هم الذين كانت فيهم الكتابة نادرة أو معدومة، فالفرق الوحيد بين التعريفين هو أن الأول خاص بالأُمي المفرد، أما الثاني فخاص بجماعة الأُميين، أما التعريف الثالث فواضح أنه جاء على **سبيل المجاز**، فلا أحد يبقى على حالة العِيّ والعُجمة والجفاء التي يولد عليها، وإنما وُصف الأمي بذلك على سبيل التَّجَوُّزِ لما بينه وبين الصبي الصغير من الشبه في الأمور التي ذكرنا. هكذا تصبح التعريفات الثلاثة دالة كلها على معنى واحد وهو الجهل بالقراءة والكتابة، وبهذا ينقلب ما اعتبره الجابري حجة له إلى حجة عليه.

وقد حملنا أنفسنا عناء الرد على المعاني التي قدمها الجابري رغم ضعفها، ورغم ما يشوب نصوصه التي يستدل بها من اجتزاء وبتر وقطع، وبينا أن الجابري رغم آلية الاجتزاء التي أَعْمَلَها في النصوص لم يوفق في قطع العلاقة بين لفظ (الأمي) ومعنى (نفي الكتابة)، وسنعود الآن إلى المصدر الذي نقل عنه النص السابق، لنجد أنه كلام مُبْتَسر من نص طويل لابن منظور يذكر فيه صراحة أن معنى الأمي: الذي لا يكتب، لكن الجابري لم يذكره، واكتفى بانتقاء معان يشوبها بعض الغموض، ولا تربط لفظ (الأمي) بمعنى عدم الكتابة ربطا واضحا ومباشرا. قال ابن منظور: "والأمي: الذي لا يكتب، قال الزجاج: الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته... وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ**﴾[24]؛ قال أبو إسحاق: معنى الأمي المنسوب إلى ما عليه جَبَلَتْهُ أمه أي لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب أمي، لأن الكتابة هي مكتسبة فكأنه نُسب إلى ما يولد عليه أي على ما ولدته أمه عليه، وكانت الكتاب في العرب من أهل الطائف تعلموها من رجل من أهل الحيرة، وأخذها أهل الحيرة عن أهل الأنبار. وفي الحديث: إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب[25]؛ أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب، فهم على جِبلتهم الأولى. وفي الحديث: بعثت إلى أمة أمية؛ قيل للعرب الأميون لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة؛ ومنه قوله: ﴿**بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾[26]. والأمي: العيي الجلف الجافي القليل الكلام؛ قال:

ولا أعود بعدها كريا... أمارس الكهلة والصبيا،
والعَرَبَ المُنَفَّهَ الأُمِّيَّا

قيل له أمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان، وقيل لسيدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه، صلى الله عليه وسلم، تلا عليهم كتاب الله منظوما، تارة بعد أخرى، بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص، فحفظه الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم كما أنزله، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التي باين بينه وبينهم بها"[27].

من الواضح أن معنى الأمي حسب ابن منظور هو: الذي لا يكتب ولا يقرأ، وهو معنى قوي أسسه ابن منظور بالاعتماد على لغة العرب ومعهودهم وأشعارهم.

لقد اصطدم الجابري بهذه العقبة المعجمية الكأداء، وبهذه المعاني اللغوية الواضحة للفظ (الأمي/ الأميين)، لكنه لم يقتنع بها وتَأَوَّلَهَا تأويلات غريبة. ورغم آلية البتر والابتسار التي أعملها في نصوص ابن منظور إلا أنه لم يوفق في قطع العلاقة بين الدال ومدلوله، وذكر في الأخير أن المعاني التي ذكرها ابن منظور ليست منقولة عن العرب، وإنما هي من اجتهاد علماء اللغة[28]، وهذا زعم يحتاج إلى دليل.

ت. **المعنى الاصطلاحي:**

أراد الجابري أن يثبت أن لفظة " الأميين" بصيغة الجمع، التي جاءت في القرآن الكريم، لا تعني بالضرورة الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، فانتقل إلى الحديث عن المعنى الاصطلاحي، بعد أن أعياه المعنى اللغوي، وقد تجول طويلا بين أراء الباحثين والدارسين، ونقل من تلك الآراء ما رآه مناسبا لأطروحته، فتارة يحاول أن يثبت أن لفظة (الأُمِّيين) استعملت وصفا للعرب في مقابل أهل الكِتاب؛ لأن هؤلاء كانت لديهم كتب سماوية، والعرب لم يكن لديهم كتاب، فوُصِفُوا بالأُمية تمييزا لهم عن أهل الكتاب، وتارة يحاول أن يثبت أنها جاءت وصفا للعرب في مقابل الوثنيين، ناسيا أن أُمَّة العرب نفسها كانت أمة وثنية قبل مجيء الإسلام، وتارة أخرى يحاول إثبات يهودية هذا اللفظ وأنه غير عربي، وأن اليهود كانوا يطلقونه على غيرهم من الأمم بما فيهم العرب.

إنها لرحلة شاقة تلك التي خاضها الجابري مع لفظ (الأميين)، فقط من أجل إلباسه كل معنى إلا معنى الجهل بالقراءة والكتابة.

أما معنى كلمة (الأُمِّي) بصيغة المفرد، التي وُصف بها النبي صلى الله عليه وسلم، فقد تجاهله الجابري تماما؛ لأنه معنى واضح لا يستطيع أن يُلبسه أي معنى آخر، لكنه في النهاية سيُعمِّم المعاني التي ذكرها للفظ " الأميين" بصيغة الجمع على لفظ " الأمي" بصيغة المفرد، وسَيُسْقِطُها على شخص النبي صلى الله عليه وسلم. تأمل ما قاله: "...ومن خلالها تَبَيَّنَ لنا أن كونه صلى الله عليه وسلم نبيا أُميا لا يعني بالضرورة أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، كما أن وصف القرآن العرب بكونهم أميين لا يفيد بالضرورة أنهم كانوا لا يقرؤون ولا يكتبون"[29].

لقد اصطنع الجابري المعاني اصطناعا، وبحث للفظ (الأميين) الواضح المعنى عن معان أخرى، وهي كالآتي:

- لفظ الأميين مقابل لأهل الكتاب.
- لفظ الأميين مقابل للوثنيين.
- لفظ الأميين لقب أطلقه اليهود على الأمم الأخرى بما فيهم العرب.

لقد استعمل الجابري وهو يخوض غمار الدلالة الاصطلاحية للفظي (الأمي)، و (الأميين)، عبارات فضفاضة من قبيل: "يرى كثير من اللغويين والمتكلمين والمفسرين/ ويرى كثير من الباحثين"[30]، دون أن يذكر لنا اسما واحدا من أسماء هؤلاء اللغويين والمتكلمين والمفكرين والباحثين، وهو يتنافى مع المنهجية العلمية القائمة على التدقيق، ويجعلنا نشك في مصداقية كلام الرجل، لا سيما والأمر يتعلق بمحاولة تغيير مسلمة راسخة في عقائد المسلمين، يحتاج كل حرف في أثناء نقاشها للضبط والتدقيق.

2. **تجاهل النظر في السياق اللغوي لبعض الروايات:**

جاء في البخاري ما يلي: "لما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يَدَعُوهُ يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا: الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه **محمد رسول الله**، قالوا: لا نُقِرُّ لك بهذا، لو نَعْلَم أنك رسول الله ما مَنَعْنَاك شيئا، ولكن أنت محمد بن عبد الله. فقال: "أنا رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله". ثم قال لِعَلِيّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "**امْحُ رسولَ الله**". قال عليٌّ: لا والله لا أَمْحُوكَ أبدا. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ـ وليس يُحسنُ يَكتبُ ـ فكتب: "هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يَخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها"[31].

ظاهر النص يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب، لكن ثَمَّة ما يدفعنا إلى تأويله، وإلى البحث عن معنى آخر حتى تَتَّسِقَ أجزاؤه؛ لأن فيه عبارة تجعل الأخذ به على ظاهره أمرا صعبا للغاية.

من حقنا أن نتساءل: لِمَ ذكر الراوي عبارة: وليس يُحسن يَكتبُ، إن كان يعلم أنها تتناقض مع مضمون الخبر؟ واضح أنه وضع تلك الجملة الاعتراضية لأنه يريد إيصال معنى ما، أو تفسير شيء ما؛ وقع في تلك اللحظة فقط لأن من وظائف الجملة الاعتراضية الشرح والتفسير والتوضيح[32] ، فما ذلك المعنى يا تُرى؟

أول ملاحظة نسجلها بخصوص الجملة الاعتراضية أنها جاءت مبدوءة بالفعل الناقص **(ليس)** الذي يُستعمل لنفي الحال عند الإطلاق كأن تقول مثلا: ليس زيد قائما؛ أي ليس زيد قائما الآن[33]؛ أي في هذه اللحظة، وعليه يحتمل أن يكون معنى الجملة الاعتراضية أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يحسن الكتابة إلى حدود اللحظة التي هَمَّ فيها بالكتابة، لكن الذي حدث هو أن أنه عليه الصلاة والسلام قد كتب.

لابد أن نتذكر في كل لحظة من لحظات تعاملنا مع كل ما يتعلق به صلى الله عليه وسلم أننا أمام نبي مرسل وليس أمام إنسان عادي، لذا فليس ببعيد، أن يتعلق الأمر تلك اللحظة بمعجزة أجراها الله عز وجل على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظة أمام رجل يتحدى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول بأنه لا يؤمن به، ويُصر على محو اسم النبي صلى الله عليه وسلم من وثيقة الصلح. على أنه من الضروري التأكيد على أن الكتابة كانت في هذا الموضع دون غيره. ما الذي يمنع وقوع أمر كهذا؟ أليس الأنبياء مؤيدين بالمعجزات؟ إن هذا الفهم مقنع جدا ومنطقي جدا. وقد أشار القرطبي إلى مثل هذا الكلام حين قال: "فقال جماعة: بجواز هذا الظاهر عليه وأنه كتب بيده، منهم السمناني وأبو ذر والباجي، ورأوا أن ذلك غير قادح في كونه أميا، ولا معارض بقوله: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[34]، ولا بقوله: "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" بل رأوه زيادة في معجزاته، واستظهارا على صدقه وصحة رسالته وذلك أنه كتب من غير تعلم لكتابة، ولا تعاطٍ لأسبابها، وإنما أجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قرأها، فكان ذلك خارقا للعادة، كما أنه عليه السلام عُلِّمَ عِلْمَ الأولين والآخرين من غير تعلم ولا اكتساب، فكان ذلك أبلغ في معجزاته، وأعظم في فضائله. لا يزول عنه اسم الأمي بذلك، ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة: ولا يحسن أن يكتب. فبقي عليه اسم الأمي مع كونه قال كتب"[35].

أما الرواية التي جاءت في صحيح مسلم فهي خالية من مثل تلك الجملة الاعتراضية، ونص الحديث يقول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه وهو بصدد كتابة وثيقة الحديبية: "اكتب الشرط بيننا: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله "فاعترض..." لو نعلم أنك رسول الله تابعناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله...فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا أن يَمحَاها، فقال علي: لا والله لا أمحاها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرني مكانها، فأراه مكانها وكتب ابن عبد الله.

كان حتما على الجابري ألا يأخذ هذا الحديث على ظاهره، وأن يحاول الوصول إلى المعنى الذي ينسجم مع أجزائه كلها، وأن ينظر في السياق اللغوي للرواية، إذ ثمة عبارات فيها ينبغي الوقوف عندها، والربط بينها للوصول إلى المعنى الصحيح.

إن السؤال الملح ونحن بصدد تحليل رواية مسلم هو: من هو كاتب كلَّ مفردات الصحيفة أهو النبي عليه الصلاة والسلام أم علي رضي الله عنه؟ إن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن مكان كلمة **(رسول الله)** ـ لكي يمحوها من الصحيفة ـ دليل قاطع على عدم معرفته عليه السلام بالقراءة والكتابة كشيئين متلازمين بالضرورة، فمِن غير المنطقي إذن إسناد فعل الكتابة في هذه الرواية إلى النبي صلى الله عليه وسلم. بذلك نرى أن إسناد الكتابة لعلي رضي الله عنه سيجعل النص متسق الأجزاء، واللغة لا تمنع أن يكون الضمير المستتر في لفظة (كَتَبَ) عائدا على عليّ رضي الله عنه وليس على المصطفى صلى الله عليه وسلم، وواضح جدا أن ألفاظا حُذفت من هذا النص لدلالة السياق عليها، وتجنبا للتطويل، ولأن حذف ما دل عليه السياق أبلغ من ذكره عند البلاغيين، فلم تذكر العبارة فعل **المحو** الذي امتنع علي رضي الله عنه عن القيام به وسلم الصحيفة للنبي صلى الله عليه وسلم ليقوم به بنفسه، ونُرجح كذلك أنها لم تذكر رد النبي صلى الله عليه وسلم الصحيفة لعلي لكي يكمل الكتابة عليها، كل هذا يدل عليه السياق، وعند إعادة المحذوفات إلى أماكنها تصبح العبارة على الشكل الآتي: **فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرني مكانها، فأراه مكانها، فمحاها النبي صلى الله عليه وسلم ورد إليه الصحيفة وكتب عليّ " ابن عبد الله"**. وقد أشار القرطبي أيضا إلى معنى قريب من هذا حين رجح أن يكون الكاتب ليس عليا وإنما أحد كتبة الوحي، فقال: "وإنما معنى كتب وأخذ القلم، أي أَمَر من يكتب به من كُتابه، وكان من كَتَبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ستة وعشرون كاتبا"[36].

هكذا تنسجم عبارات النص مع بعضها، وينكشف المعنى الصحيح.

نحن إذن أمام احتمالين في فهم هذين الحديثين، أولهما أن كتابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت معجزة ظهرت في ذلك الموضع وانتهت، وثانيهما أن الذي كتب كل سطور وثيقة الصلح كان سيدنا عليا رضي الله عنه، أو أحد كتبة الوحي، وأن كل الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم كان هو محو عبارة (رسول الله) من الصحيفة.

أما في سيرة ابن هشام فقد تمت الإشارة الصريحة إلى كون علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو من كتب شروط الصلح، ولم تُشِر إلى امتناع عليّ عن مَحْو عبارة (رسول الله) من الصحيفة ولا خبر محو النبي صلى الله عليه وسلم لها بيده الشريفة، ولا كتابته صلى الله عليه وسلم لأي شيء في الصحيفة بخط يده، بل جاء الأمر منه عليه السلام لِعَلِي بالكتابة بشكل واضح: أُكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو[37].

في هذا الموضع بالذات كان لزاما على الجابري أن يُعمل آلة التأويل وأن يكون مستنده الأكبر فيه النحو والبلاغة، لكن من الواضح أن الرجل يمتنع عن التأويل في مواضعه، ويوظفه في غير مواضعه، وتلك من أكبر الأخطاء القاتلة للمعاني الصحيحة.

هكذا يتضح أن حديث البراء المذكور في صحيح البخاري وصحيح مسلم بصيغتين مختلفتين بعض الاختلاف، ليس حجة للجابري بل هو في الواقع هو حجة عليه.

3. تأويل ما لا يقبل التأويل:

عَقبة أخرى واجهها الجابري ـ وهو يحاول نفي صفة الأمِّيَّة عن العرب ليسهُل عليه بعد ذلك نفيها عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهي عقبة حديث نبوي يؤكد بوضوح أمية أُمَّةَ العرب، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّا أُمَّة أُمِّيَّة لا نَكتب ولا نَحسِب[38]، الحديث واضح وصريح لكنه بالنسبة للجابري يحتمل تأويلين هما:

- الأول: أن تكون جملة (لا نكتبُ ولا نحسب) وصفا لـ (أمية)، كأنك قلت: نحن أُمَّة أُمِّيَّة من صفاتها أنها لا تكتب ولا تحسب.
- الثاني: أن تكون الجملة نفسها بدلا أو عطف بيان، بمعنى أنها تفسر المعنى المقصود بالأمية في قوله صلى الله عليه وسلم (إنا أمة أمية)، والتأويلان معا سيؤديان ـ حسب الجابري ـ إلى تَكْرار لا معنى له، وعليه لا بد أن يكون لكلمة (أمية) معنى آخر[39].

لم يكن من مبرر لإعمال آلة التأويل في هذا النص الواضح الدلالة، والذي لا يستدعي تأويلا، ذلك أن التأويل كما عرفه أبو حامد الغزالي: "عبارة عن احتمال يُعضده دليل يصير به أغلبَ على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر"[40]، وهو أيضا كما عرفه تاج الدين السُّبكي: "حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلا ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل"[41].

فالتأويل لا يكون إلا بدليل قريب غالب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر، ومن ثم يتوجب على الجابري ـ لكي يكون تأويله مقبولا ـ أن يُثْبِتَ أمرين:

- الأمر الأول: أن يُبين كيف احتمل هذا الحديث المعنى الذي ادعاه له.
- الأمر الثاني: أن يقدم الدليل على ذلك المعنى. ونُذَكِّرُ هنا أن الجابري قدم للحديث تأويلين اثنين وليس تأويلا واحدا بلا دليل على أي منهما.

وإذا دققنا النظر في بنية الخبر في هذا الحديث سنجدها تؤكد أن معنى الأمية ليس سوى الجهل بالقراءة والكتابة والحساب، فلو توقف الخبر في الحديث عند لفظ "إنا أمة أمية"، لاحتمل ذلك أن يُحمل لفظ الأمية على معنى آخر حتى وإن كان بعيدا، لكن تتمة الخبر جاءت لتفسر بدايته ولترفع اللَّبس عنه، ولتبين أن معنى الأمية الذي يقصده النبي صلى الله عليه وسلم هو الأمة التي لا تكتب ولا تحسب، وهو ما يتطابق مع ما بيناه سابقا عند حديثنا عن الدلالة المعجمية لهذا اللفظ، بل لقد أشار الجابري نفسه إلى هذا المعنى عندما تحدث عن الاحتمال التأويلي الثاني، لكنه تجاهل ما بين الشطر الأول والشطر الثاني من علاقة تفسيرية، وأبى إلا أن يُحمِّل الحديث ما لا يحتمله.

4. التفكيك مدخل لتاريخية المعنى:

حاول الجابري نفي أُمِّيَّة النبي صلى الله عليه وسلم بسلوك مسلك آخر، وهو نفي الأمية عن قومه، لِيَسْهُلَ بعدها تعميم الحكم ليشمل النبي صلى الله عليه وسلم، هكذا طرح أربع آيات تضمنت لفظ (الأُمِّيِّين)، وآية واحدة تضمنت لفظ (الأُمِّي) الذي جاء وصفا للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الآيات هي على التوالي:

1. قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[42].
2. وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾[43].
3. وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[44].
4. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[45].
5. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾[46].

يقدم الجابري تعريفه للفظ (الأمي/ الأميون) من خلال كلامٍ هذا نصه بلا تصرف: "فالتقابل في كثير من هذه الآيات هو بين طرف هو (الأمي) و (الأميون) من جهة، وبين طرف آخر هو (أهل الكتاب) والمقصود بهم اليهود والنصارى من جهة ثانية، وما به يفترق الطرفان هو أن الطرف الثاني لديه

كتاب هو (التوراة والإنجيل)، والطرف الأول ليس لديه كتاب، فالأميون إذا هم الذين ليس لهم كتاب سماوي، وقد جاء القرآن ليكون لهم كتابا خاصا بهم"[47].

قبل أن نشرع في مناقشة أفكار الجابري في هذا النص، سنمهد لذلك بالحديث باختصار شديد عن المنهج التفكيكي لما لمسناه من علاقة له بالموضوع؛ ترى المدرسة التفكيكية أن الكلمات لا تُحيل على أي شيء خارج النص، وإنما يُحيل بعضُها على بعض، ويشدُّ بعضُها بعضا، وعلى هذا الأساس فإن ما ينبغي البحث فيه هو علاقات التوزيع والترابط والتسلسل التي تجمع بين هذه الكلمات، وهذه العلاقات قد تتعدى النص المنظور فيه إلى نصوص أخرى دون الحاجة إلى أي شيء آخر سوى هذه النصوص[48]. بعبارة أخرى النص من منظور تفكيكي هو عبارة عن متوالية من الدوال المتداعية التي لا تُحصِّل من المعنى إلا ما ظهر في مواضع التداخل بينها[49].

هذا التعريف المقتضب ضروري جدا لنبين أن ما قام به الجابري، ما هو إلا تطبيق عَملي لما تدعو إليه التفكيكية من قطع للصلة بين الألفاظ ومعانيها الأصلية وبناء معانٍ أخرى، انطلاقا من علاقات هذه الألفاظ مع ألفاظ أخرى داخل التركيب.

إن لفظ (الأمي) بصيغة المفرد، ولفظ (الأميين) بصيغة الجمع لا معنى لهما من المنظور التفكيكي، ولا يُحيلان على أي شيء، إنهما يكتسبان المعنى فقط من خلال علاقتهما بألفاظ أخرى داخل التركيب (الآية)، ذلك هو معنى التقابل الذي أشار إليه الجابري في مُستهل كلامه السابق، ففي الآية **الثانية** ـ حسب الترتيب أعلاه ـ يوجد تقابل بين **(الذين أوتوا الكتاب)** ولفظ (**الأميين**)، و بما أن الطرف الأول من أطراف التقابل يتحدث عن اليهود والنصارى فلا بد أن يدل الثاني على العرب، أما الآية **الثالثة** فالتقابل فيها حاصل بين (**أهل الكتاب**) ولفظ **(الأميين)** فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمعنى المقابل ـ الذي يقتضيه منهج التقابل ـ هو (العرب) أيضا، أما الآيات الأولى والرابعة والخامسة فلا تقابل فيها. وقد قدم لها الجابري تفسيرات خاصة به، باستثناء **الآية الأولى** التي أقر بأن كل المفسرين يميلون إلى تفسير كلمة (الأميين) فيها بالذين يجهلون القراءة والكتابة، لكنه رجح ـ رغم هذا الإجماع ـ ما قاله ابن عباس وهو أن الأميين هم قوم لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتابا أنزله الله، فكتبوا كتابا بأيديهم، ثم قالوا لقوم سفلة جهال: هذا من عند الله، فالقرآن أخبر بأنهم يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين لجحودهم كتب الله ورسله[50].

واضح ـ مما سبق ـ أن التقابل الذي اشتغل به الجابري والذي جعله حجة له في بناء معنى جديد للفظي (الأمي والأميين)، لم يظهر إلا في موضعين (آيتين) فقط، وغاب في المواضع الأخرى، وقد أقر هو نفسه بذلك عندما قال بأن التقابل حاصل في كثير من الآيات، وليس كل الآيات، لكنه حاول دفع المتلقي إلى تَوَهُّم حصوله في المواضع كافة، ولا يخفى ما في هذا المنهج من تكلف، لم يقد صاحبه في النهاية إلا إلى نتيجة ساذجة ومتهافتة لا تستحق كل هذا العناء.

من المؤكد أن النتيجة التي توصل إليها الجابري ليست ملزمة لأحد، وعملا بالمنهج عينه ستكون هذه النتيجة هي نتيجة واحدة محتملة من بين نتائج أخرى كثيرة إحداها تلك التي ندافع نحن عنها (أمية النبي صلى الله عليه وسلم)، وهي نتيجة مناقضة تماما لنتيجة الجابري لكن النتيجتين ـ و يا للعجب ـ صحيحتان معا ومقبولتان معا، وتلك من أعجب الغرائب التي يمكن أن تقود إليها المناهج الحداثية في تعاملها مع المعنى. بهذا الشكل سندخل دوامة عنيفة من التأويلات والمعاني الممكنة وغير الممكنة.

إن أكبر خطيئة ارتكبها نَقَلَة هذه الآليات الاستهلاكية الفوقية ومنهم الجابري هي أنهم نسوا وغفلوا عن نقدها هي نفسها قبل إنزالها على التراث[51]، فقد كان لزاما عليهم أولا أن ينتقدوا الأدوات التي سيشتغلون بها على التراث، لتكون أقدر على الوصول إلى حقيقته قبل إنزالها عليه.

لذلك من حقنا التَّحَفُّظ على النتائج التي أفضت إليها تلك المناهج، والتشكيك في جدواها، وفي قيمتها الإجرائية لا سيما وأنها بدأت تفقد مصداقيتها ودقتها عند من وضعوها ونَظَّروا لها. والأكثر من ذلك سنتجرأ ونقول بأن التفكيكية التي وظفها الجابري ما هي إلا آلية لتفجير المعاني الأصلية والحقائق الدينية ودسّ المعاني الموجَّهة بموجِّهات فكرانية.

5. منهج التعميم:

سعى الجابري إلى نفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أن القراءة كانت منتشرة في مكة زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء بما اعتبره شهادات واقعية على ذلك، والشهادات التي ساقها هي:

1. اللائحة الطويلة للصحابة الذين كتبوا للنبي صلى الله عليه وسلم[52].
2. هناك روايات تدل على أنهم كانوا يقرؤون التوراة[53].

3. قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما دخل على أخته في بيتها فوجدها مع خَتَنه، وابن عمه سعيد بن زيد بن عمر، وعندهما خباب بن الأَرَتِّ، معه صحيفة فيها سورة (طه) يُقرئهم إياها[54].
4. الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلم، قُصي بن كلاب كان يعرف القراءة والكتابة، وكذلك الجد المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب كان يعرف القراءة والكتابة، وكذلك أبناؤه جميعهم (أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم)، واستشهد في ذلك بواقعة النَّذْر المعروفة[55].
5. عمل النبي صلى الله عليه وسلم في تجارة السيدة خديجة رضي الله عنها دليل على أنه عليه الصلاة والسلام كان يعرف القراءة والكتابة[56].

خمسة أدلة ساقها الجابري، واعتبرها أدلة قاطعة على أن فعل القراءة والكتابة كان شائعا في قريش، وأن عددا كبيرا من القُرَشِيِّين كانوا غير جاهلين بالقراءة والكتابة، والنبي صلى الله عليه وسلم رجل من قريش يجري عليه ما يجري عليهم من أحوال.

حين التأمل في هذه الأدلة نسجل ملاحظة مهمة، تكشف طبيعة المنهج الذي اختار الجابري توظيفه في هذه المرحلة، إنه يأتي بواقعة منفردة ويعممها على واقع قبيلة قريش بأكمله، لينتقل في النهاية إلى إدخال النبي صلى الله عليه وسلم داخل دائرة التعميم تلك. منهج **التعميم** هذا بطبيعة الحال لن يؤدي إلى نتائج قطعية، ولا يمكن الاطمئنان إلى نتائجه التي تبقى محل شك كبير، وبالتالي يبقى (التعميم) بلا فائدة، بل يصبح عائقا إبستمولوجيا يلعب في التفكير العملي دورا معاكسا لدوره الديناميكي المألوف[57]، خاصة حين يوظَّف في محاولة تغيير فكرة هي في باب المسَلَّمَات عند المسلمين. سنبين الآن مواطن التعميم في تلك الحجج، ونبين مدى ضعف قيمتها الحجاجية.

لقد عمَّم الجابري ـ وبلا دليل ـ واقعةً خاصة بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي واقعة قراءته جزءا من التوراة، على كل القُرَشِيِّين، وفي مسألة تَدَارُس أخت عمر رضي الله عنه، وزوجها وأخ زوجها، والصحابي خَبَّاب بن الأَرَتِّ سورة طه، عمَّم فعل القراءة على الجميع، متجاهلا ما تحمله بنية الخبر نفسه من دلالة واضحة على أن فاعل القراءة كان هو خباب بن الأرث وحده، أما البقية فكانوا مستمعين فقط، يدل على ذلك الفعل (يُقرِئُهم) المتعدي إلى مفعولين؛ الصحيفة وبقية الحاضرين في ذلك المجلس.

كما عمَّم مسألة معرفة أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وأعمامه بالقراءة والكتابة ـ إن صَحَّت ـ لتشمل النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، وهذا ليس مُلزما وليس مُطَّرِدًا، فلا يمتنع أن تجد ابنا أميا بين أفراد عائلة غير أمية، والعكس أيضا صحيح، وأدخل مسألة إجادة القراءة والكتابة والحساب في دائرة التعميم أيضا، حيث جعلها شروطا لا يكون النجاح في التجارة إلا بها، فكل تاجر ناجح هو بالضرورة تاجر يعرف القراءة والكتابة ـ حسب مفهوم الجابري من هذه الحجة ـ وواقع الحال يرد هذه الحجة ذلك أن كثيرا من التجار الناجحين في كل زمان، وفي كل مكان، ربما كانوا ممن لا تربطهم بالقراءة والكتابة أية صلة.

أما القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ عددا هائلا من الكُتَّاب، فهذه الحجة وإن سلمت من آفة التعميم التي أصابت أخواتها السابقات، فإنها لم تَسْلَم من آفة التناقض ومصادمة العقل والمنطق، فهذه الحجة ليست دليلا على معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة بقدر ما هي دليل على أميته عليه السلام؛ لأن السؤال المنطقي الذي يفرض نفسه هو: لو كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب ويقرأ لِمَ اتخذ هذا العدد الهائل من الكُتَّاب؟ لِمَ لَمْ يكن يكتب بخط يده عليه الصلاة والسلام؟

6. مغالطات:

يُعَرِّف محمد العمري **المغالطة** بقوله: "المغالطة إيهام" الصدق لا على طريق الاحتمال، كذب لا تقام عليه قرائن تحيده وتنفيه، غرضه الإيقاع عمدا في الخطأ، (خدعة) أو (خديعة) بدون تعقيب. ومعنى ذلك أنها تصب الخطاب التصديقي المقامي الموجه إلى معين: **مستَمِع auditoire** حقيقة. ولا تستعمل في الانزياح الشعري إلا مجازا. فلا يمكن، مثلا، أن نتهم شاعرا بالمغالطة إلا على وجه المجاز والاستعارة"[58].

فالمغالطة إذن هي ضرب من التغليط والتلبيس والتضليل، وإلباس الباطل لباس الحق، وإلباس الحق لباس الباطل، وهو ما فعله الجابري بخصوص قضية أمية النبي صلى الله عليه وسلم، وسنعالج فيما يلي مغالطتين لجأ إليهما الجابري للدفاع عن تصوره ووجهة نظره في أمية النبي صلى الله عليه وسلم:

- **المغالطة الأولى:**

ظهر أسلوب المغالطة حين أراد الجابري بيان معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[59]، فالسياق اللغوي للآية يدل دلالة واضحة على معنى أمية النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما أجمعت عليه كتب التفسير، وقد اخترنا نماذج منها لنبين هذا الإجماع، فقد قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ﴿**وَمَا كُنتَ**﴾ يا محمد ﴿**تَتْلُو**﴾ يعني: تقرأ ﴿**مِن قَبْلِهِ**﴾ يعني: من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك

﴿مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ يقول: ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك كنت أمّيًا ﴿إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ يقول: ولو كنت من قبل أن يُوحَى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، ﴿إِذاً لَّارْتَابَ﴾ يقول: إذن لشكّ – بسبب ذلك في أمرك، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم– المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأوّلين"[60].

وقال البغوي: " ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو﴾، يا محمد، ﴿مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ﴾، يعني من قبل ما أنزلنا إلى الكتاب، ﴿وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾، يعني: ولا تكتبه. يعني: لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي، ﴿إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، يعني: لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطلون المشركون من أهل مكة، وقالوا: إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها، قاله قتادة. وقال مقاتل: المبطلون هم اليهود، ومعناه إذا لشكوا فيك واتهموك، وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة أمي لا يقرأ ولا يكتب، وليس هذا على ذلك النعت"[61].

فاليهود يعلمون من خلال التوراة أن النبي عليه الصلاة والسلام أمي لا يقرآ ولا يكتب، وجاء خبر القرآن الكريم متطابقا في هذه الجهة مع خبر التوراة، ولو اختلف خبر القرآن عن خبر التوراة لشك اليهود في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لتعارض الخبر القرآني مع الخبر التَّوْراتي.

ويضيف الزمخشري قائلا: "وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط إذا لو كان شيء من ذلك، أى، من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به. أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده"[62]. فأمية النبي صلى الله عليه وسلم تنفي كل شك في كون هذا القرآن العظيم هو كلام رب العالمين، وفي أميته عليه السلام دفع لشبهة يمكن ان يتعلق بها المبطلون وهي ادعاؤهم أنه صلى الله عليه وسلم تعلمه وكتبه بيده.

أما فخر الدين الرازي فيقول: "وهذا القرآن ممن لم يكتب ولم يقرأ عين المعجزة، فيعرف كونه منزلا، وقوله تعالى: ﴿إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ فيه معنى لطيف، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان قارئا كاتبا ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه، فإن جميع كتبة الأرض وقرائها لا يقدرون عليه، لكن على ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب، وعلى ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو أَدْخَلُ في الإبطال"[63]. فحتى لو كان النبي صلى الله عليه وسلم غير أمي لما كان في مُكنته ولا في مُكنة غيره من بلغاء الأرض وكتبتها وقرائها أن يأتوا بمثله، ولكن الآية ذكرت ذلك على وجه الافتراض والتقدير المبطل لكل شك أو ارتياب.

وأضاف سيد قطب قائلا: "وهكذا يتتبع القرآن الكريم مواضع شبهاتهم حتى الساذج الطفولي منها. فرسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بينهم فترة طويلة من حياته، لا يقرأ ولا يكتب ثم جاءهم بهذا الكتاب العجيب الذي يعجز القارئين الكاتبين. ولربما كانت تكون لهم شبهة لو أنه كان من قبل قارئا كاتبا. فما شبهتهم وهذا ماضيه بينهم؟"[64].

فكل التفاسير إذن أطبقت على دلالة هذه الآية على أمية النبي صلى الله عليه وسلم، لكن الجابري يرى أن هذا الإجماع غير ملزم وأن النبي صلى الله عليه وسلم رغم ذلك كان يقرآ ويكتب، والملاحظ أنه لم يتوقف كثيرا عند نظم هذه الآية وبنائها اللغوي، ربما لدلالته الصريحة على أمية النبي صلى الله عليه وسلم – وهو مالا يريده الجابري– فلجأ إلى عرض الكثير من الآراء حولها، استند فيها إلى كلام نقله عن أبي الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي الكبير، من تفسيره (روح المعاني)، وهذا نص كلام الألوسي كما ذكره الجابري في كتابه (مدخل إلى القرآن الكريم): "واختلف في أنه صلى الله عليه وسلم هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا؟ فقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة، واختاره البغوي في التهذيب، وقال: إنه الأصح. وادعى بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان علم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها.. فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تعرَّف أمر الكتابة حينئذ".

ويضيف الآلوسي: "وروى ابن أبي شيبة، وغيره: ما مات صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كتب وقرأ. وقال: وروى ابن ماجة عن أنس قال: قال صلى الله تعالى عليه وسلم: رأيتُ ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر. والقدرة على القراءة فرع الكتابة. وأضاف الآلوسي: وممن ذهب إلى ذلك أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة، وصنف فيه كتابا، وسبقه إليه ابن منية، ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مُدَّعَاه وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه"[65].

انتهى نقل الجابري. وقد عدنا إلى النص في مصدره فوجدنا الآتي:

"هذا واختلف في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هل كان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا؟ فقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة، واختاره البغوي في التهذيب وقال: إنه الأصح، وادعى بعضهم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها، وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية. فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ،

وروى ابن أبي شيبة، وغيره: ما مات صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كتب وقرأ.ونقل هذا للشعبي فصدقه وقال: سمعت أقواما يقولونه وليس في الآية ما ينافيه، وروى ابن ماجة عن أنس قال: قال صلى الله تعالى عليه وسلم: رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية

عشر. والقدرة على القراءة فرع الكتابة. ورد باحتمال إقدار الله تعالى إياه عليه الصلاة والسلام عليها بدونها معجزة أو فيه مقدر وهو: فسألت عن المكتوب فقيل: إلخ، ويشهد للكتابة أحاديث في صحيح البخاري وغيره كما ورد في صلح الحديبية فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث. وممن ذهب إلى ذلك أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، وأبو الوليد الباجي من المغاربة، وحكاه عن السمناني، وصنف فيه كتابا، وسبقه إليه ابن منية، ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمي بالزندقة وسب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه، وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه، ومعرفة الكتابة بعد أميته صلّى الله عليه وسلم لا تنافي المعجزة بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم"[66].

لقد وضعنا خطا تحت الجمل التي لم يذكرها الجابري في اقتباسه حتى تسهل علينا عملية المقارنة بين النصين. ويمكن عرض مضامين تلك الجمل على الشكل الآتي:

- عدم معرفة الكتابة دليل إعجاز الآية.
- عدم تناقض الآية مع روايات تحدثت عن كتابة النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته.
- كتابة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون معجزة من الله تعالى إذ أقدره سبحانه على الكتابة.
- حذف وتقدير في نص الرواية التي رواها ابن ماجه عن أنس، إذ يمكن أن يكون تقدير الكلام على الشكل الآتي: رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها،.. فسألت عن المكتوب فقيل لي....
- النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يحسن الكتابة كما في رواية البخاري.
- معرفة الكتابة بعد الأمية هي معجزة أخرى لأنها كانت من غير تعليم.

والجامع بين الجمل المحذوفة هو حديثها عن كون الكتابة – إن حدثت من النبي صلى الله عليه وسلم بعد أميته– فهي تُعد معجزة أخرى تضاف إلى المعجزات التي أجراها الله عز وجل على يدي نبيه صلى الله عليه وسلم. أو إنها تجمع النصوص وتُوَفِّقُ بينها لتصل في النهاية إلى معنى لا تناقض فيه ولا تضارب بين مضمون الآية ومضمون بعض الأحاديث والروايات. والملاحظ أن الجابري لم ينقل هذه الجمل، وعمد إلى اجتزاء الجمل التي تخدم أطروحته المتمثلة في نفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم. والأخطر من ظاهرة الاجتزاء، ظاهرة أخرى سجلناها في كلام الجابري، وهي تغيير بعض الكلمات بكلمات أخرى تخدم الغرض الذي يسعى إليه، ففي الكلام السابق سجلنا تغييره للفعل **(صار)** في كلام الآلوسي الذي قال فيه: وادعى بعضهم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم **صار** يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها. بالفعل **(كان)**، فأصبحت الجملة على النحو الآتي: وادعى بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم **كان** يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها. مع ما يحمله الفعل (صار) من معنى يغير معنى الجملة تماما. ومع ركاكة الجملة مع الفعل (كان) وتناقض أولها مع آخرها، إلا أنها ستُربك القارئ، وتجعله ينساق مع أطروحة الجابري. فهل كان هذا سهوا من الجابري أم كان شيئا آخر؟

وفي السياق ذاته نجد الجابري يحتج على مخالفيه بما لا يلزمهم، ولا يمثل مرجعا بالنسبة إليهم، فقد جاء بروايات شيعية أراد بها إقناع أهل المذهب السني، وفي هذا خرق لأعراف فن الإقناع والمناظرة، فقد استشهد برأي في تفسير شيعي جاء فيه أن الشيعة قالت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يُحسن الخَط (الكتابة) قبل الوحي ثم نُهِيَ عنه بالوحي، وقالوا (الشيعة) أن قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾، نهي عن الكتابة وليس نفيا لها، وفي السطر نفسه ذكر الرد على هذا القول الشيعي، وهو أن (لا تخطه) نفي وليس نهيا؛ لأنه لو كان نهيا لكان بنصب الطاء، أو قال: لا تخطُطْهُ بطريق التضعيف[67]. السؤال الآن هو: إذا كان الجابري قدم هذا المثال ليبين لنا ما سماه تخبط المفسرين في تفسير هذه الآية، فأين محل التخبط؟ إن ما ذكره هو تَخَبُّط شيعي في إثبات القراءة والكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم شبيه بتخبطه هو إذ يحاول عبثا إثبات نفس القضية. فأين الشاهد من هذا المثال الذي قدمه؟

بل الأغرب من ذلك أنه انتقل ليعمل على ترسيخ فكرة التخبط المكذوبة في لا وعي القارئ عندما قال: (ونحن نرى أن السبب في مثل هذا الاضطراب إن لم نقل "التخبط" في تفسير كثير من الآيات القرآنية..)[68]. فكأن الاضطراب ـ غير الحاصل أصلا أو الحاصل في تفسير شيعي غير مُلزِمٍ لأهل السنة والجماعة ـ أصبح أمرا واقعا لا جدال فيه، وهذا تغليط ينافي المنهجية العلمية. أما تفاسير المذهب السني فلا تخبط فيها كما بينا.

- **المغالطة الثانية:**

لقد ذكر الجابري أن الناس في العصور الوسطى كانوا ينظرون إلى العارفين بالقراءة والكتابة بوصفهم أشخاصا حاصلين على امتياز خاص ليس عند جميع الناس[69]، وبَدَهِيٌّ أن هذا الامتياز لا يكون في مجتمعات تنتشر فيها القراءة والكتابة، وإلا لما سمي امتيازا، ألا ينقض هذا الكلامُ كلاما آخر ذكره الجابري في الفصل ذاته عندما قال "لعل أول ما تجب الإشارة إليه في هذا الشأن أن الكتابة كانت منتشرة في مكة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقبله..."[70]؛ أي أن الكتابة والقراءة لم يكونا امتيازين في مكة، إلا إذا كانت مكة التي تحدث عنها هي مكة أخرى لا نعرفها.

وتاريخ العرب كله يشهد بأن أمة العرب كانت أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب إلا فيما نذر، فغير خافٍ على كل دارسٍ أن الثقافة العربية كانت قائمة على المشافهة، فقد لبث الأدب العربي زمنا طويلا يعتمد على الرواية[71] والحفظ والنقل الشفهي، ولنفرض جدلا أن دعوى الأستاذ الجابري صحيحة، وأن العرب كانوا أمة انتشرت بين أفرادها المعرفة بالكتابة والقراءة انتشارا واسعا، فَلِمَ تأخر عصر التدوين إلى ما بعد الإسلام بحوالي قرنين؟ لِمَ لَمْ تكتب العرب علومها وآدابها وتدوّن ثقافتها الشفهية التي ضاع منها الكثير قبل الإسلام؟ لِمَ انتظرت هذا الزمن الطويل حتى تبدأ عصر التدوين؟

➢ **على سبيل الختم:**

نزعم ـ بعد هذا التطواف في النصوص والوقائع التي استدل بها الجابري ـ أن أكبر سَقْطَة قضت على موضوعية معالجته قضية أمية النبي صلى الله عليه وسلم كانت هي الانطلاق من معنى موجود سَلفا في كيسه (هو نزعته التاريخية التي كانت موجهه الأساس)، إنه يشبه العقيدة لديه؛ يتمسك به ويستميت في الدفاع عنه، حتى إنه يبدو كمن يريد توجيه القارئ إلى هذا المعنى وليس دعوته للبحث عنه والوصول إليه بالحجة والدليل، تلك أهم سقطة وأخطرها؛ لأنها جَرَّت وراءها سقطات أخرى، ففي سَكْرَة الدفاع عنها كان الكاتب يتعامل مع الأدلة والنصوص بانتقائية ـ يُقصي منها ما يقف في وجهه ويتبنى ما يخدمه ـ يقدم نصوصا أقل في سلم الحُجِّيَّة على نصوص أولى بالتقديم، ويتجاهل التفسيرات السابقة بل يُفجِّرُها، ويبني تفسيرات خاصة أو يأخذ ببعض التفسيرات النادرة، يؤوِّل ما لا يقبل التأويل، ويتجاهل ما يجب أن يؤوَّل ويأخذه على ظاهره، يُطلق الأحكام بلا دليل أو مستند علمي، يُعَمِّم حين لا يُجدي التعميم، ويحتج على الطرف الآخر بما لا يُلزمه. يصرح بمنهجه في الفهم ويتجاهله أثناء التطبيق... كل تلك السقطات أو جُلها كان لمنهج التحليل اللغوي النصيب الأوفى في كشفها وإماطة اللثام عنها، مع حضور لا بأس به لمنهج التحليل المنطقي أيضا.

ونريد أن نُقِرَّ ـ ونحن نَخُطُّ السطور الأخيرة من هذا المقال ـ أن الدكتور محمد عابد الجابري قامة فكرية لها وزنها في وطننا العربي، وقد كتبنا ما كتبناه إيمانا منا بأن ساحة الفكر هي ساحة مفتوحة للجميع، وليست حكرا على أحد، ومن حق كل ذي رأي أن يُدلي برأيه، ويقارعَ الحجةَ بالحجة، والفكرة بالفكرة، (المنهج العلمي) في حدود الأدب والاحترام، دون التطاول على أحد، ودون الحط من شأن أحد. لا تقديس لأحد ولا تمجيد لشخص أو جهة لأن كل البشر يؤخذ من كلامهم ويُرد إلا الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، والمكانة العلمية لأيٍّ كان لا ينبغي أن تُبهر أبصارنا عن الحقيقة، ولا أن تُذهِلنا عن أماكن الخطأ والتعثر في كلامه كائنا من كان، فالحق أحق أن يُتَّبَع.

وحتى نستوفي أطراف الموضوع بالتحليل نُنبه إلى عبارة للجابري ـ مثيرة للانتباه ـ نعتقد أنها تلخص المنهج الذي يستند إليه ـ على الأقل في قضية نفي أمية الرسول صلى الله عليه وسلم، لقد قال بأنه يريد أن يجعل القرآن معاصرا لنفسه ومعاصرا لنا في نفس الوقت، ودعا في موضع آخر إلى تجاوز القيود المنهجية التي وضعها السابقون للمعرفة الدينية، والنظر إليها بنسبية، ومن منظور تاريخي[72]. لعله يقصد بذلك تَبَنِّيهِ المناهجَ الحداثية في فهم النص القرآني، وإذا كنا قد بينا أنه صرح في بداية كتابه أنه سيعتمد تفسير القرآن بالقرآن، فإن ذلك لا يعني تطابق موقفه مع العلماء الذي أجمعوا على اعتبار تفسير القرآن بالقرآن أحد أهم مداخل فهمه والوقوف على معانيه، إلى جانب مداخل أخرى كالحديث الشريف، وأقوال الصحابة وغير ذلك من المداخل والأدوات التي تتساند لتوصل المتفهِّم إلى المعنى، كَلَّا. فرؤية الجابري الحداثية للقرآن تقول بخلاف ذلك، إن اعتماده تفسير القرآن بالقرآن ما هو إلا تجلٍ للمنهج البنيوي الذي يعتمد بنية النص أولا وأخيرا في فهمه، وحتى هذه وجدنا الجابري غير ملتزم بها تمام الالتزام، فهو يبدو خاضعا بصورة أكبر لمبادئ التيار الهرمينوطيقي أو علم النص الداعي إلى إحداث القطيعة مع الموروث الديني على وجه الخصوص[73]، وتحرير عقل الناظر إلى النص من الأحكام والمقاصد التي أرادها المتكلم في خطابه، وإهدار القرائن المحتفَّة بذلك الخطاب[74]، والحكم بتاريخية المعاني ونسبيتها، وإقامة قطيعة كبرى مع منظومة القيم التي جاءت بها النصوص، وإزاحة المعنى المركزي للنص، والدعوة إلى الانتقال من المعنى المفرد إلى المعنى المتعدد[75]، وما رأيناه في السطور السابقة يُبَيِّن الأثر الهرمينوطيقي في منهج الجابري في التعامل مع النصوص، فتحطيم معنى يُعد مسلمة عند المسلمين، أجمع العلماء المعتبرون على صحته، وتساندت كل الوقائع والنصوص والقرائن على تبيينه وتوضيحه، ما هو إلا سعي لإحداث القطيعة مع الماضي، ولنا أن نتساءل من منطلق هرمينوطيقي: هل يعتبر الجابري أن ما ذكره هو المعنى الصحيح؟ إن الجواب بالإيجاب سيُقصي المعاني الأخرى تلقائيا وسيعتبرها معان فاسدة، وهذا سيضع الحداثيين في مأزق التناقض مع أهم مبادئ القراءة الحداثية وهو مبدأ نسبية المعنى وتاريخيته وتعدده، والجواب بالنفي سيجعلنا نتساءل أيضا: ما الجدوى من محاولة تبيين معنى لقارئ وهو محل شك لديه ابتداء؟ كيف ستقنعه بالمعنى الذي بذلت جهدا ووقتا واعتصرت فكرك في تتبعه، ما دمت قد بينت له سلفا أن من أهم دعامات القراءة الحداثية أن لا معنى موجود، أو أن الصواب متعدد، فتكون كل المعاني صحيحة؟ ذلك هو المأزق الذي وقع فيه الجابري في أثناء تعاطيه مع هذه القضية، وهو مأزق التيارات الحداثية في التعامل مع النصوص الشرعية على وجه العموم؛ تفجير المعاني السابقة وبناء معان جديدة ليس لعيب في الأولى ولقوة في الثانية؛ ولكن نتيجة لنقل غير سليم أحيانا، وغير أمين أحيانا أخرى، أو خاضع لتوجهات **فكرانية** لا علاقة لها بالحياد ـ لنظريات وتيارات نشأت في بيئات غربية، ومحاولة استنباتها في البيئة الإسلامية دون تطويع ودون نقد. وإنه لمن الغرابة أن تأتي بمناهج في النقد وتنقد بها التراث دون أن تُخضع تلك المناهج نفسها للنقد والتمحيص والتعديل. ولعل أفضل وصف يمكن أن نصف به هذه المناهج وطريقة التعامل معها هو ذاك الذي وصفه بها الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه (تجديد المنهج) حين نعتها بالمناهج الاستهلاكية[76]، مع كل ما يحمله هذا المصطلح من غيابٍ لفاعلية الذات المستهلكة، ومن كل إحاطة بقوانين تلك النظريات ومبادئها وأسرارها.

لعل في ما سبق كفاية لكنا سنزيد دليلا آخر لعل القلوب تطمئن؛ لقد وصلنا كل شيء عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ولعله الإنسان الوحيد الذي يعرف كل الناس أدق تفاصيل حياته، بل ويعرفون حتى خصوصياته عليه الصلاة والسلام، منذ اللحظة الأولى التي زار فيها هذه الدنيا إلى أن التحق بجوار ربه، بل إن كتب السيرة تحدثنا عن أخباره صلى الله عليه وسلم حتى قبل ولادته، لأنه المعلم والقائد والقدوة... أليس هذا مدعاة للتساؤل – ونحن نناقش قضية أميته صلى الله عليه وسلم من عدمها– أنه لو كان صلى الله عليه وسلم يعرف الكتابة والقراءة لِمَ لَمْ يصلنا أي شيء من كتاباته؟ لم وصلتنا كل تفاصيل حياته دون استثناء، ولم يصلنا خطه ورسائله التي كتبها بخط يده؟.

الهوامش:

1 ـ الجابري، محمد عابد، حنفي، حسن، حوار المشرق والمغرب (نحو إعادة بناء الفكر القومي العربي)، ص 74

2 ـ الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، ص 16

3 ـ أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص 116

4 ـ عمارة، محمد، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، ص 15

* تُعَرَّف النسبية أيضا بأنها: الرأي الذي يقول بأن الحقيقة نسبية وتختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى، ومن وقت إلى آخر، وليس لها معايير موضوعية، وبالتالي فإن كل مدرَك نسبي. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب، التريكي، فتحي، الحداثة وما بعد الحداثة، ص363

5 ـ الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، ص 26

6 ـ الجابري، محمد عابد، نحن والتراث (قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي)، ص 21

7 ـ علي، عمر زهير، القراءة الحداثية المعاصرة للقرآن الكريم في المغرب العربي وأثر الاستشراق فيها "محمد أركون" نموذجا" دراسة تحليلية نقدية"، ص 283

8 ـ الجابري، حمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص80.

9 ـ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص28.

10 ـ وعاء

11 ـ ثوب فارسي مزركش

12 ـ سورة العلق، الآيات:5/4/3/2/1

13 ـ صحيح البخاري، باب: كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3

14 ـ سورة العلق، الآيات من 1إلى5

15 ـ الرواية كما وردت في تاريخ الطبري كالآتي: الرواية كما ذكرها الطبري هي: "... حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل بأمر الله قال رسول الله ص، فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج، فيه كتاب، فقال: اقرأ، **فقلت: ما أقرأ؟** فَغَتَّنِي، حتى ظننتُ أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: **ماذا أقرأ؟** وما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود إلى بمثل ما صنع بي، قال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ إلى قوله: ﴿**عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾.." أبو جعفر الطبري، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، 301/2

16 ـ جاء في سيرة ابن إسحاق ما يلي: "...جاءني وأنا نائم فقال: اقرأ، فقلت: **وما اقرأ؟** حتى ظننت أنه الموت، ثم كشطه عني فقال: اقرأ، فقلت: **وما أقرأ؟** فعاد لي بمثل ذلك ثم قال: اقرأ، فقلت: **وما أقرأ؟** وما أقولها إلا تَنَحِّيا أن يعود لي بمثل الذي صنع بي فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ–1– خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ–2– اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ–3– الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ–4– عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ –5–** ﴾. محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، سيرة ابن إسحاق 121/1

17 ـ سورة العلق، الآيات من 1 إلى5

18 – سورة العنكبوت، الآية: 48

19 – سورة الأعراف، من الآية:157

20 ـ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص79.

21 ـ من الوارد أن تدل الصيغة الأولى (**ما أقرأ**) على النفي، أما صيغة (**ماذا أقرأ؟**) فمن الممكن أن تفيد استفهاما استنكاريا يفيد نفي المعرفة بالقراءة فكأن النبي صلى الله عليه وسلم يسأل مُستنكرا: ماذا أقرأ فأنا لا أعرف القراءة؟

22 – الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص79.

23 ـ نقلا عن، مدخل إلى القرآن الكريم، ص82، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، فصل الألف.

24 ـ سورة البقرة، من الآية: 78

25 ـ صحيح البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 1913

26 ـ سورة الجمعة، من الآية: 2

27 ـ ابن منظور، لسان العرب، فصل الألف، 12/ 34

28 ـ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص82

29 ـ المرجع نفسه، ص84.

30 ـ المرجع نفسه، ص83.

31 ـ صحيح البخاري، باب: عمرة القضاء، حديث رقم: 4251.

32 ـ قباوة، فخر الدين، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص67.

33 ـ السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، 251/1

34 ـ سورة العنكبوت، الآية48

35 ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، 13/ 352

36 ـ المرجع نفسه، 13/ 353

37 ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، 3/ 220

38 ـ صحيح البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا نكتب ولا نحسب، حديث رقم: 1913، صحيح مسلم، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما، حديث رقم: 1080.

39 – الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص82

40 ـ الغزالي، أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، 2/ 48.

41 ـ السبكي، تاج الدين، جمع الجوامع في أصول الفقه، ص54

42 ـ سورة البقرة، الآية78.

43 ـ سورة آل عمران، من الآية20.

44 ـ سورة آل عمران، الآية 75.

45 ـ سورة الجمعة، من الآية2.

46 ـ سورة الأعراف، من الآية157.

47 ـ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص82.

48 – عبد الرحمن، طه، فقه الفلسفة، ص42.

49 ـ المرجع السابق، ص44.

50 ـ الجابري، محمد عابد، مدحل إلى القرآن الكريم، هامش ص81. رأي ابن عباس هذا ذكره الطبري في تفسيره، لكنه علق عليه قائلا: "وهذا التأويل تأويل على خلاف ما يعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن (الأمي) عند العرب: هو الذي لا يكتب". تفسير الطبري، 2/ 259

51 ـ عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، ص41.

52 ـ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص84

53 ـ المرجع نفسه، ص85

54 ـ المرجع نفسه، ص85

55 ـ المرجع نفسه، ص85

56 ـ المرجع نفسه، ص85

57 ـ باشلار، غاستون، تكوين العقل العلمي، ص48.

58 ـ العمري، محمد، "المغالطة في فضاء الاحتمال"، مجلة سياقات، المجلد الثاني، العدد 5، أبريل2017، ص2.

59 ـ سورة العنكبوت، الآية48

60 ـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 50/20

61 ـ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، 3/ 563

62 ـ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 3/ 458

63 ـ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 25/ 64

64 ـ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 2746

65 ـ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، في التعريف بالقرآن، ص88

66 ـ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 6/ 11

67. الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، ص89

68. نفسه، ص89

69 ـ الجابري، محمد عابد، مدخل إلى لقرآن الكريم، ص94

70. ـ المرجع نفسه، ص84

71 ـ الفاخوري، حنا، تاريخ الأدب العربي، ص42.

72 ـ الجابري، محمد عابد، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ص12

73. عمارة، محمد، قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي، ص7

74 ـ. الحريري، سعد بن مقبل بن عيسى، ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي، ص44

75 ـ تقلا عن سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي، الريسوني، التوظيف الحداثي للمقاصد، ص15/14

76 ـ عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في قراءة التراث، ص24